المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة حائل
كلية الآداب والفنون
قسم اللغة العربية

مسالك ابن درَّاج في استطراف التشبيه الحربي

" دراسة بلاغية تحليلية "

إعداد

الأستاذ / عواد بن ملفي الشمري

محاضر في جامعة حائل ـ قسم اللغة العربية

المقدمة

أحمد الله ربي وأشكره شكرًا يليق بعظيم إحسانه ووافر فضله ، وأصلي وأسلم على نبيه محمدٍ – ﷺ– ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى صحبه الأخيار المنتخبين ، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن للشعر مكانة سامية لدى العرب فهو ديوان علمهم ، ومرشدهم إلى محاسن الأخلاق ، وقد بيَّن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – تلك المكانة في كتابه إلى أبي موسى الأشعري ، حيث قال : "مُرْ من قِبَلك بتعلم الشعر ؛ فإنه يدل على معالي الأخلاق ، وصواب الرأي ، ومعرفة الأنساب"[(١)] .

ومن هذا المنطلق فإن لدراسة الشعر ، وفهمه ، وتحليله أهمية بالغة لا تخفى ، حيث تعد من المداخل المهمة إلى فهم

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لأبي علي الحسن بن رشيق ، تحقيق د . عبد الحميد هنداوي ، (١٩/١) ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، بدون طبعة ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م .

أسرار ولطائف كلام الله تعالى ، وكلام رسوله – صلى الله عليه وسلم – .

ولهذا الاعتبار المهم قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني – رحمه الله – في فضل الشعر وبيان منزلته : "نعلم أن الجهةَ التي منها قامت الحجة بالقرآن وظَهَرت ، وبانت وبَهَرَتْ ، هي أَنْ كان على حدٍّ من الفصاحة تَقْصُر عنه قُوَى البشر ، ومنتهيًا إلى غاية لا يُطْمَح إليها بالفِكر ، وكان مُحالًا أن يعرفَ كَوْنَه كذلك ، إلَّا من عَرَفَ الشِّعْر الذي هو ديوان العرب ، وعُنْوان الأدب"[1] .

واستمر الشيخ في بيان منزلة الشعر إلى أن عدَّ الصَّادَّ عن الشعر صادًّا عن حجة الله ، فقال : "الصادُّ عن ذلك صادًّا عن أنْ تُعْرَف حجةُ الله تعالى ، وكان مَثَلُه مَثَلَ من يتصدَّى للناس فيمنعهم عن أن يحفظوا كتاب الله تعالى ويقُومُوا به

(١) دلائل الإعجاز ، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي ، قرأه وعلق عليه : أبو فهر محمود محمد شاكر ، ص (٨) ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد – الرياض ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط/ ٥ ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م .

ويَتْلوه ويُقْرِئُوه ، ويصنع في الجملة صنيعًا يؤَدِّي إلى أن يقلَّ حُفَّاظه والقائمون به والمُقْرِئُون له"[١] .

وعلى هذا يكون صرف الناس عن الشعر صرفًا عن معرفة وجه الحجة التي قامت بالقرآن الكريم ، ولو لم يكن للشعر فضل ومنزلة غير هذه المنزلة والمكانة لكفته .

وهذا البحث حين يتجه إلى دراسة استطراف التشبيه الحربي في شعر ابن درَّاج القسطلي[٢] ، إنما يتجه إلى دراسة باب من أبواب البيان الساحرة البديعة لدى شاعر يعد شعره – في أغراضه وأفكاره ومعانيه ووسائله البيانية المستخدمة في

---

(١) دلائل الإعجاز ، ص (٩) .

(٢) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن درَّاج الأندلسي القسطلي ، وهو من أهل (قَسْطَلَّة درَّاج) قرية في غرب الأندلس منسوبة إلى جده ، شاعر وكاتب ، حيث كان شاعر المنصور وكاتب الإنشاء في أيامه ، وهو من جملة الفحول في شعراء المغاربة والعلماء المتقدمين ، توفي رحمه الله في سنة (٤٢١هـ) .

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلِّكَان ، حققه : د . إحسان عباس ، (١٣٥/١) ، دار صادر ، بيروت ، بدون طبعة ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م .
- الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل الصفدي ، تحقيق واعتناء : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، (٣٣/٨) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط / ١ ، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .
- الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، لخير الدين الزِرِكْلِي ، (٢١١/١) ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ط / ١٥ ، ٢٠٠٢م .

بيان القدرة ، وإظهار المعنى – من الأشعار المعتبرة لدى النقاد والأدباء[١] .

ولا يخفى أن هذا المسلك والمنهج في الدراسة إنما هو مسلك ومنهج العلماء الأوائل الذين لم يكن بين أيديهم كتب في البلاغة والنحو وغيرهما ، كان بين أيديهم الشعر فحسب ، عكفوا على دراسته وتتبعوا أساليبه إلى أن استخرجوا منه أصول البلاغة والنحو .

والدارس حين يتجه إلى هذا المسلك بدراسته ، إنما يتجه إلى تلك المنابع والأصول .

ويأتي أسلوب التشبيه في مقدمة ألوان البيان التي استعان الشاعر بها للكشف عن أفكاره ومعانيه فيما طرقه من موضوعات متنوعة .

هذا عن أهمية الموضوع .

---

(١) منهم : ابن بسام ، والثعالبي .
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني ، تحقيق : د . إحسان عباس ، (٥٩/١) ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، بدون طبعة ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، لأبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري ، شرح وتحقيق : د . مُفيد محمد قميحة ، (١١٩/١) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط/ ١ ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

أما عن أسباب اختياره فتعود إلى ما يلي :

- أولًا : لم تحظَ تشبيهات ابن درَّاج في شعر الحرب بدراسة بلاغية تعطي هذا الباب من شعره حقَّه من الدراسة ، والتحليل ، والتفصيل ، وتُبِّين ما انطوت عليه من دقائقَ وأسرارٍ ، إضافة إلى ما يكشف عنه شعره في وصف الحرب من أحوالها ، وأدواتها ، وأبطالها ، وسياستها ، وآثارها ، ودوافعها مما يمكن أن يسلط الضوء على جانب من جوانب الدولة العامرية ، وما تلا سقوطها من فتن متلاحقة .
- ثانيًا : ما حظي به شعر ابن درَّاج من مكانة خاصة في تاريخ الأدب الأندلسي ، فهو مرآة تعكس لنا واقع الحياة الأندلسية وما شابها من صراعات وحروب وفتن .
- ثالثًا : ما يمكن أن تسلطه الدراسة من ضوء في ديوانه على التشبيه الذي يعدُّ ركنًا أصيلًا في بلاغة اللغة العربية منذ أن استعمله العرب في تصوير أيامهم ، ومشاعرهم ، وأفكارهم ، ورؤاهم ، وأحاسيسهم ، وتأملاتهم في مظاهر الوجود ، حتى بلغ الغاية ووصل إلى

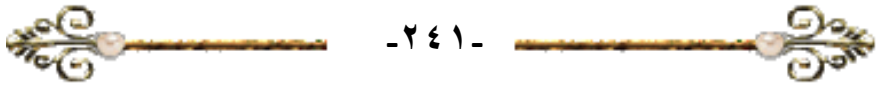

النهاية حين استعمله القرآن الكريم وسيلة كاشفة عن المعاني والأفكار.

ولقد اقتضت طبيعة البحث في استطراف التشبيه الحربي عند ابن درَّاج في شعر الحرب أن أسلك المنهج الوصفي التحليلي ، الذي يقوم على وصف وتحليل صور التشبيه الماثلة في شعره .

كما اقتضت طبيعة الدراسة ، ومنهجها الرجوع إلى تراث البلاغيين الزاخر ، حيث أفدت من كتابي الشيخ عبد القاهر الجرجاني (دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة) ، ومن كتب الشيخ محمد أبو موسى (التصوير البياني ، ودلالات التراكيب ، وخصائص التراكيب ، وقراءة في الأدب القديم) ، كما أفدت كثيرًا من معجم "لسان العرب" لابن منظور ، وغير ذلك الكثير من الكتب المثبتة في الفهارس .

وقد كان مصدري الرئيس في هذه البحث ديوان الشاعر ، بتحقيق الدكتور محمود علي مكي .

أما خطة الدراسة فهي مجملة في مقدمة ومدخل وعرض وخاتمة ، وتفصيلها فيما يلي :

أوَّلًا : المقدمة : تحدثت فيها عن أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، وخطة الدراسة .

ثانيًا : مدخل إلى مفهوم الاستطراف ، ويشمل :

- مفهومه في اللغة .
- مفهومه في الاصطلاح .

ثالثًا : عرض وسائل ابن درَّاج في استطراف التشبيه الحربي ، ويشمل :

١. الاستطراف عن طريق الغرابة .
٢. الاستطراف عن طريق العطف بأو وما يشبهها .
٣. الاستطراف عن طريق التمثيل .
٤. الاستطراف عن طريق الإدعاء والمبالغة .
٥. الاستطراف عن طريق الابتكار وتجديد الصور المألوفة .
٦. الاستطراف عن طريق ضرب الأمثال .

رابعًا : خاتمة في الاستطراف :

هذا ما وصلت إليه بفضل من ربي ، فما وفقت فيه فهو من الله سبحانه وما كان من خطأ وتقصير فهو مني .

وختامًا ربي اشملنا مع عبادك الذين قلت عنهم :

﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يونس: ١٠

المدخل : مفهوم الاستطراف :

١. **مفهومه في اللغة :**

يدور المعنى اللغوي للاستطراف حول الاستحداث والطيب والغرابة ، فشيءٌ "طَرِيفٌ : طَيِّبٌ غَرِيبٌ"[١] ، وتقول : "اسْتَطْرَفْتُ الشَّيْءَ : اسْتَحْدَثْتُهُ"[٢] ، ويقال أيضًا "للشيء المستحدَث : طريف ؛ وهو خلافُ التَّليد ، ومعناه أنَّهُ شيءٌ أُفِيدَ الآنَ في طَرَف زمانٍ مضى . يقولون منه اطَّرَفْتُ الشيءَ ، إذا استحدثتَه ، أطَّرِفه ، أطِّرَافًا"[٣] .

وقال "خَالِدُ ابْنُ صَفْوانَ خَيْرُ الكَلَامِ مَا طَرُفَتْ مَعَانِيهِ ، وَشَرُفَتْ مَبَانِيهِ ، وَالتَذَّهُ آذَانُ سَامِعِيهِ"[٤] .

فالاستطراف يحمل معنى الاستحداث ، والطيب ، والغرابة إذن .

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور ، تحقيق : عبد الله علي الكبير ، ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلي ، مادة : (ط ر ف) ، (٢٦٥٧/٤) ، دار المعارف – القاهرة ، بدون طبعة وتاريخ .

(٢) السابق ، مادة : (ط ر ف) ، (٢٦٥٧/٤) .

(٣) مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، راجعه وعلق عليه : أنس محمد الشامي ، كتاب الطاء ، باب الطاء والراء وما يثلثهما ، ص : (٥٤٦) . ، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، بدون طبعة ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م .

(٤) لسان العرب ، مادة : (ط ر ف) ، (٢٦٥٧/٤) .

٢. مفهومه في الاصطلاح :

هو "إنشاء مشبه يعد طُرفة ، لجدته وغرابته بغية التلذذ به ، لأن لكل جديد لذة في الأعم الأغلب"[(١)] .

وفي هذا المعنى يقول الشاعر[(٢)] :

لكل جديد لذة غير أنني وجدت جديد الموت غير لذيذ

كما أنه "يصح أن يكون بالظاء من الظرف بفتح ، فسكون ، والعامة تضمه وهو خطأ .

ولا مانع من إرادة ذلك المعنى ، لأن من معاني الظرف حسن الوجه والهيئة ، فيكون استظراف المشبه : جعله حسنًا جميلًا يمتع السمع ويونق النفس

(١) فن التشبيه (بلاغة – أدب – نقد) ، د . علي الجندي ، (٢٤٥/١) ، مكتبة نهضة مصر ، ط / ١ ، ١٩٥٢م .

(٢) البيت منسوب للحطيئة في كتاب : المجالسة وجواهر العلم ، لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري القاضي المالكي ، ص (٣٦٦) ، رقم الحديث (٢١٣٨) ، دار ابن حزم ، بيروت – لبنان ، ط / ١ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .
وغير مثبت في ديوانه ، والحطيئة هو جرول بن أوس بن مالك العبسي ، وكنيته أبو ملكية ، شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، اشتهر بالهجاء العنيف ولم يكد يسلم أحد من لسانه حتى أنه هجا أمه وأباه ونفسه ، توفي في نحوي سنة (٤٥هـ) .
- الأعلام ، (١١٨/٢) .

وبعضهم يجعله من صفات اللسان فهو يتعلق بالمنطق خاصة .

ومنه قول الحسن[١] – رضي الله عنه – : إذا كان اللص ظريفًا لا يقطع : أي إذا وقع دفع عن نفسه بطلاقة لسانه ومنطقه .

فكلا معني الظرف صالح لما نحن بسبيله"[٢] .

فالتشبيه المستطرف إذن ما كان مستحدثًا بديعًا غريبًا يلفت الانتباه إليه بسبب حداثته وندرته وغرابته .

ويتضح مما سبق أن المعنى الاصطلاحي يتفق مع المعنى اللغوي ، فكلاهما يدل على الاستحداث والغرابة .

وحاصل القول في الاستطراف أن له وجهين :

---

(١) هو الحسن بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه وعن أباه – ، سبط النبي – صلى الله عليه وسلم – ، أمه فاطمة بنت رسول الله– صلى الله عليه وسلم – ، سيدة نساء العالمين ، وهو سيد شباب أهل الجنة ، وقد اختلف في سنة وفاته – رضي الله عنه – ، فقيل توفي سنة (٤٩هـ) ، وقيل : سنة (٥٠هـ) ، وقيل : سنة (٥١هـ) .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لعز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجَزَري ، تحقيق وتعليق الشيخ : علي محمد معوّض ، والشيخ : عادل أحمد عبد الموجود ، (١٣/٢) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، بدون طبعة وتاريخ .

(٢) فن التشبيه ، (٢٤٥/١) .

الأول : إبراز المشبه في صورة الممتنع في الخارج .

الثاني : إبراز المشبه في صورة النادر الحضور في الذهن.

وهذان المفهومان مختلفان حيث "يلزم من كون الشيء ممتنع الحصول في الخارج ندرة حضوره في الذهن دون العكس ، فكلما أبرز المشبه للسامع بصورة أحدهما حصل الاستطراف"[١] .

فالتشبيه الذي يقوم على عناصر قريبة أو متداولة يعده البلاغيون تشبيهًا مبتذلًا ، حيث أطلقوا على التشبيه الذي ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به من غير عناء ومشقة (القريب المبتذل) ، وقالوا : "هو ما ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر ؛ لظهور وجه في بادئ الرأي"[٢] ، وإنما يعد هذا التشبيه قريبًا مبتذلًا لأن ؛ "ظهور الشيء من معدنه لا يستغرب"[٣] ، وهذا بخلاف إذا ما ظهر الشيء من غير

(١) شروح التلخيص ، مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح للقزويني ، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح للمغربي ، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للسبكي ، وبهامشه كتاب الإيضاح للقزويني ، وحاشية الدسوقي على شرح السعد ، (٤٠٤/٣) ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبي ، مصر ، بدون طبعة وتاريخ .

(٢) السابق ، (٤٤٣/٣) .

(٣) فن التشبيه ، (٢٤٨/١) .

معدنه فإنه يكون حينئذ بديعًا ومستغربًا ، ولذلك ترى "كثير من الناس يجعلون محاكاة الشيء بالأمر الأبعد أتم وأفضل من محاكاته بالأمر الأقرب . ويجعلون الصانع للأقاويل التي بهذه الحال أحق بالمحاكاة ، وأدخل في الصناعة وأجرى على مذهبها"[١] .

ويقول عبد القاهر الجرجاني في أخذ الشبه للشيء مما يخالفه في الجنس : "ولن يبعُد المَدَى في ذلك ، ولا يدِقّ المرمى إلا بما تقدم من تقرير الشبه بين الأشياء المختلفة ، فإن الأشياء المشتركة في الجنس ، المتفقة في النوع ، تستغني بثبوت الشَّبه بينها ، وقيام الاتفاق فيها ، عن تعمُّل وتأمل في إيجاب ذلك لها وتَثْبِيتِهِ فيها ، وإنما الصّنْعة والحِذْقُ ، والنظرُ الذي يَلْطُف ويدِقّ ، في أن تُجمع أعناق المتنافرات والمتباينات في ربْقة ، وتُعقَد بين الأجنبيّات معاقدُ نسب وشُبْكة . وما شرُفت صنعةٌ ، ولا ذُكر بالفضيلة عملٌ ، إلا لأنهما يحتاجان من دِقّة الفكر ولُطْف النظر ونَفاذ الخاطر ، إلى ما لا يحتاج إليه غيرهما ، ويحتكمان على مَن زَاوَلَهما والطالبِ لهما من هذا المعنى ، ما لا

(١) جوامع الشعر للفارابي ، تحقيق : د . محمد سليم سالم ، ص : (١٧٥) ، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث ، الكتاب الثالث والعشرون ، القاهرة ، بدون طبعة ، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م

يحتكم ما عداهما ، ولا يقتضيان ذلك إلا من جهة إيجاد الائتلاف في المختلفات .

وذلك بَيّنٌ لك فيما تراه من الصناعات وسائر الأعمال التي تُنسب إلى الدقة ، فإنك تجدُ الصورة المعمولة فيها ، كلما كانت أجزاؤها أشدَّ اختلافًا في الشكل والهيئة ، ثم كان التلاؤم بينهما مع ذلك أتمّ ، والائتلاف أبينَ ، كان شأنها أعجب ، والحذقُ لمصوّرها أوجبَ"[١] .

***

(١) أسرار البلاغة ، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي ، قرأه وعلق عليه : أبو فهر محمود محمد شاكر ، ص (١٤٨) ، دار المدني بجدة ، ط/ ١ ، ١٤١٢هـ ــ ١٩٩١م .

عرض وسائل ابن درّاج في استطراف التشبيه الحربي :

أولًا : الاستطراف عن طريق الغرابة :

ليس المقصود بالغرابة هنا دلالتها المعجمية ، فالغرابة في اللغة تعني الغامض من الكلام[١] ، وليس المقصود بها "أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها فيحتاج في معرفته إلى النظر والتنقيب عنها في كتب اللغة المبسوطة"[٢] ، وإنما المقصود بها "أن يكون المعنى مما لم يُسبق إليه على جهة الاستحسان فيقال : ظريف وغريب إذا كان عديم المثال أو قليله"[٣] .

فالشاعر حين يحول التنافر بين المتضادات أو التباعد بين المتباعدات ، بحيث يستطيع أن يؤلف بين المتضادات ، أو أن يجمع بين المتباعدات ، يكون فعله هذا دالًّا على فطنته وبراعته ، كما يدل على الظرف والحذق .

وتظهر الغرابة في تشبيهات ابن درَّاج الحربية بمظهرين :

---

(١) لسان العرب ، مادة (غ ر ب) ، (٣٢٢٦/٥) .

(٢) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ، د . بسيوني عبد الفتاح فيود ، ص (١٨) ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط / ٢ ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

(٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د . أحمد مطلوب ، ص (٩٣) ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بدون طبعة ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

١. إظهار المشبه الموجود في صورة المشبه به المنعدم :

أي إظهار المشبه به في صورة الممتنع عادة ، ويُعدُّ "كل تشبيه كان المشبه به فيه خياليًّا أو وهميًّا من هذا القسم"[١] ، ويتجلى هذا المظهر بصورة واضحة في قول ابن درَّاج[٢] :

فَلَرُبَّ مَوْقِفِ ظَافِرٍ لَكَ فِي الْوَغَى وَالْخَيْلُ تَعْبِسُ وَالْبَوَارِقُ تَبْتَسِمْ

وَالشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ كَأَنَّهَا – وَالنَّقْعُ يَغْشَاهَا – كَمِيٌّ مُلْتَئِمْ

وَكَأَنَمَا كِسَفُ الْعَجَاجِ – إِذَا الْتَقَتْ أُسْدُ الْكُمَاةِ – سَحَائِبٌ مَطَرَتْ بِدَمْ

فهو في البيت الأخير يشبه صورة النقع المتراكم فوق رؤوس المتقاتلين في تلك المعركة ، وسيوفهم في أثنائها تقطر دمًا في ذلك النقع ، بسحب تمطر دمًا .

ومثل هذا التشبيه يصعب تصوره أو تمثله ؛ ذلك أن صورة المشبه به معدومة الوجود ، فنحن نعرف عناصر المشبه به من الغبار ، والسحاب ، والدم ، ولكن لا نعرف الصورة

(١) شروح التلخيص ، (٤٠٣/٣) .

(٢) ديوان ابن درَّاج القسطلي ، حققه وعلق عليه وقدم له : د . محمود علي مكي، ص (٣٥٧) ، المكتب الإسلامي – دمشق ، ط / ٢ ، بدون تاريخ .

المركبة من السحاب الذي يمطر دمًا على الإطلاق فهو من التشبيه الخيالي .

ويعود السبب في استطراف التشبيه هنا إلى إبرازه في صورة الممتنع عادة "وإن كان ممكنًا عقلًا ولا يخفى أن الممتنع عادة مستطرف غريب"[١] .

فالمشبه به (سَحَائِبٌ مَطَرَتْ بِدَمْ) يمتنع في العادة ، ويندر حضوره في الذهن ، ولا شك أن "ندرة الحضور موجبة لغرابة ذلك النادر ولكل غريب لذة ، وإذا شبه غير النادر بالنادر المستطرف انتقل وصف الندرة لذلك المشبه وصار مبرزًا في صورته ، أي بصفته ، فينجر الاستطراف إليه"[٢].

فمعلوم أن صفات المشبه به تنعكس على المشبه ، "وأبرز دليل عندنا أن يكون المشبه به خصبًا في سياقه ، أي أن يوقعه الأديب موقعًا يثير منه دلالات وإشارات تنعكس على المشبه به"[٣] .

---

(١) شروح التلخيص ، (٤٠٣/٣) .

(٢) السابق ، (٤٠٤/٣) .

(٣) التصوير البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان ، د . محمد بن محمد أبو موسى، ص (٨٦) ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط / ٧ ، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م .

ووجه الشبه هنا هيئة مكونة من وجود طبقة كثيفة مرتفعة تمطر دمًا على الأرض ، ولما كان وجه الشبه في التشبيه السابق هيئة "اعتبرت في الممتنع عادة لم يقتضِ كون الوجه أظهر وأعرف ؛ لأن هذه الهيئة في المشبه أعرف ، إذ هو بنفسه أظهر وأقرب إدراكًا من المشبه به ، ولكن لما كان المشبه به أخفى ومعلوم أنه يلزم من خفائه خفاء وصفه كان التشبيه أشد استطرافًا على ما تقرر في جميع الغرائب ، وليس وجه الشبه هنا هو منشأ المنع عادة كما كان منشأ الاستغراب في بيان الإمكان ، بل منشأ المنع ذات المشبه به"[١] ، ويعود ذلك إلى الندرة أو عدم التحقق فيما تشاهده الأبصار.

ومما زاد به استطراف المشبه هنا كونه شيئًا حقيرًا تافهًا أظهر في صورة شريفة ، فالغبار لا قيمة تذكر له غير الأذى ، أما السحاب فهو أمر عزيز تترقبه الأنفس لارتباط الحياة والخصب به ، وكذلك الدم فهو من الأمور العزيزة أيضًا لارتباط الحياة والعيش به ، بل أضحى رمزًا لطلب الثأر ، فهم يقولون في وصف الرجل الذي ارتكب جريمة القتل عليه دم .

(١) شروح التلخيص ، (٤٠٤/٣) .

وتشبيه الغبار المتراكم فوق رؤوس المتقاتلين بسحائب تمطر دمًا له جهتان :

الجهة الأولى : إبراز المشبه في صورة الممتنع في الخارج .

الجهة الثانية : إبرازه في صورة النادر الحضور في الذهن .

ولا منافاة بين الجهتين ، ذلك لأنه يلزم من كون الشيء ممتنع في الخارج ندرة حضوره في الذهن دون العكس ، فقد يكون الشيء نادر الحضور في الذهن ولكنه ليس ممتنع في الخارج[١] .

كما أن البيت الذي قبله لا يقل عنه طرافة ، حيث يقول[٢] :

وَالشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ كَأَنَّهَا – وَالنَّقْعُ يَغْشَاهَا – كَمِيٌّ مُلْتَئِمْ

يصف حالة كانت عليها الشمس أثناء المعركة ، وذلك حين استقرت في وسط السماء وغشاها الغبار فحجب ضوءها عن الأرض ، فهي في هذه الحالة كحالة الكمي الذي تغشَّى

(١) السابق ، (٤٠٤/٣) .
(٢) ديوان ابن درَّاج القسطلي ، ص (٣٥٧) .

بلباس الحديد وتحصن بسلاحه فحجب نفسه عن بأس الحرب ما استطاع ، حيث جمع بين عنصرين في غاية البعد وهما : الشمس في كبد السماء عندما يغشاها النقع ، والكمي الملتئم الشجاع الذي لبس لأمة الحرب ، فالعنصر الأول سماوي وأرضي ، والثاني إنساني

فالشاعر في هذا البيت يشبه حالة الشمس – وقد غشاها غبار المعركة الكثيف المتطاير من سنابك الخيل بحيث حجب ذلك الغبار أشِعة ضوئها عن الأرض بحالة الكمي الملتئم ، وقد تغشَّى بالحديد الصلب وتحصن به بحيث حجب ذلك الحديد الأذى عن سائر جسده الذي يتعرض له غير المتحصن في ساحات الوغى ، والجامع هيئة مكونة من وجود شيء يكاد يظهر من خلف حجاب ، وهو تشبيه طرفاه مفردان مقيدان بالحال ، ووجه الشبه مركب حسي .

٢. أن تكون صورة المشبه به نادرة الحضور في الذهن :

٣. إما مطلقًا ، "أي من غير تقييد بحالة ظهور المشبه بل يندر سواء حضر المشبه أو لا"[١] ، وذلك كما في قول ابن درَّاج

(١) السابق ، (٤٠٤/٣) .

السابق ، فإن تشبيه غبار بسحائب تمطر دمًا ممتنع عادة ، ولما امتنع عادة صار نادر الحضور في الذهن ، وهذا لا يكاد يحصل إلا لمن له اتساع في تقدير المفروضات "فيحصل الاستطراف فيه للسامع من جهة الامتناع العادي ، وتكفي تلك الجهة في الاستطراف إن خطرت وحدها ، ومن جهة الندور إن خطرت وحدها أيضًا ، ومن جهة الندور منفكة عن الأخرى وإن استلزمت الثانية الأولى خارجًا"[١] ، وفي هذا القسم لم نلقِ بالًا للمشبه ؛ وذلك لأنه قسم مرتبط بالمشبه به دون المشبه ، فإذا كان المشبه به ممتنع عادة كان منه وما عداه فليس منه .

٤. وإما أن تكون الندرة حاصلة في المشبه به عند حضور المشبه لا مطلقًا ، أي أن تلك الندرة ليست ندرة مطلقة وليست في كل الأحوال ، وذلك "لكون المشبه به مشاهدًا معتادًا لكن مواطنه غير مواطن المشبه ، لكون كل منهما من واد غير وادي الآخر فيبعد حضور أحدهما في الذهن عند حضور الآخر"[٢] ، وفي هذا القسم لا بد من مراعاة

(١) شروح التلخيص ، (٤٠٤/٣) .
(٢) السابق ، (٤٠٤/٣) .

المشبه والمشبه به معًا ، فإذا كانا من واديين مختلفين كانا منه ، وإن كانا من نفس الوادي فهما ليسا منه .

ويظهر هذا النوع من الاستطراف في قول ابن درَّاج[١] :

تَحَمَّلَ مِنْهُ البَحْرُ بَحْرًا مِنَ القَنَا يَــرُوعُ بِــهَــا أَمْــوَاجَــهُ وَيَــهُــولُ

بِـكُـلِّ مُـعَـالَاةِ الـشِّـرَاعِ كَـأَنَّـهَـا – وَقَـدْ حَمَلَتْ أُسْدَ الحَقَائِقِ – غِيلُ

إِذَا سَـابَقَـتْ شَـأْوَ الـرِّيَـاحِ تَـخَـيَّـلَـتْ خُـيُـولًا مَـدَى فُـرْسَـانِـهِـنَّ خُـيُـولُ

فالشاعر في البيت الثاني يشبه السفن وقد حملت الجنود بالغيل والوجه هيئة مكونة من وجود أشياء كثيفة مرتفعة تستتر بداخلها أسودًا فتاكة .

ولقد وفق الشاعر في أن يجمع بين صورتين بعيدتين كل البعد ، فصورة المشبه به (الغيل) بحد ذاتها ليست بعيدة ، ولكنها تبعد عند استحضار صورة المشبه (السفن) وذلك للفرق الشاسع بين الصورتين ، فكل منهما من وادٍ غير وادي الآخر ، فالغيل موطنه في البر ، والسفن موطنها في البحر ،

(١) ديوان ابن درَّاج القسطلي ، ص (٤) .

وشتان ما بين بيئة البر وبيئة البحر ، كما أنه لا توجد عناصر مشتركة ظاهرة بينهما .

ويعود سبب البعد إلى ما بين المشبه والمشبه به من بون شاسع ، فعند حضور (السفن) يبعد حضور (الغيل) ، فإحضارهما معًا غاية في البعد والندرة ، ولو لم يمتنع كما في (سحائب مطرت بدم) ، فثبوت الاستطراف في التشبيه من كون الشاعر حقق عناقًا بين صورتين بينهما غاية البعد

وسبب الاستطراف فيه يعود إلى إظهاره في صورة النادر، وإن كان ندوره مقيدًا بوجود المشبه ، والنادر يستغرب ويستطرف .

وتشبيه السفن بالغيل له جهة واحدة وهي جهة إبرازه في صورة النادر الحضور في الذهن .

وهذه الصورة تفاوتت فيها أدوات البيان من تشبيه وكناية واستعارة مما زاد في استطرافها واستحسانها جمعها بين صور متباعدة كل البعد ، والذي زاد في استطرف الصورة الكلية للتشبيه هنا أن البيت الأول يصور السفينة وهي تحمل

الجنود والعتاد ، والبيت الثاني يصور حركتها السريعة ، ولا يخفى أن من طرائف التشبيه تصوير هيئة الحركة والسكون

وهذا النوع – أي الجمع بين المتباعدات – من الأشياء التي تدل على براعة الشاعر وفطنته ونباهته ، كما أنه يجلب حسد الأتراب ، فقد روي "أن جريرًا[١] دخل إلى الوليد[٢] وابن الرقاع العاملي[٣] عنده يُنْشِدُهُ القصيدة التي يقول فيها :

غَلَبَ المَسَاميحَ الوليدُ سَماحةً وكَفَى قُرَيْشَ المُعْضِلاتِ وَسَادَها[٤]

(١) هو جرير بن عطية بن حذيفة الخَطَفي بن بدر الكلبي اليربوعي ، من تميم ، شاعر أموي ، اشتهر بنقائضه مع الفرزدق والأخطل ، وعرف عنه العفة ، وهو من أغزل الناس شعرًا ، ولد ومات في اليمامة ، توفي سنة (١١٠هـ) .
- الأعلام ، (١١٩/٢) .

(٢) هو الوليد بن عبد الملك بن مروان ، يكنى ببأبي العباس ، من ملوك بني أمية في الشام ، تولى الملك بعد وفاة أبيه سنة (٨٥هـ) ، فوجه القواد لفتح البلاد ، وقد امتدت في زمانه حدود الدولة العربية إلى بلاد الهند ، وتركستان ، وأطراف الصين ، وقد كان مولعًا بالعمران فهدم مسجد المدينة والبيوت التي حوله وأعاد بنائه من جديد ، وبنا المسجد الأقصى ، وبنا المسجد الأموي في دمشق ، وهو أول من أحدث المستشفيات في الإسلام ، وجعل لكل أعمى قائدًا يتقاضى نفقاته من بيت المال ، وأقام لكل مقعد خادمًا ، ورتب للقراء أموالًا وأرزاقًا ، وأقام بيوتًا ومنازل يأوي إليها الغرباء ، توفي رحمه الله في دير مران من غوطة دمشق ، ودفن بدمشق سنة (٩٦هـ) .
- السابق ، (١٢١/٨)

(٣) هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع ، يكنى أبا داود ولقبه ابن دريد ، من عاملة ، شاعر أموي ، من أهل دمشق ، وقد حظي بالتقدمة من قبيل بني أمية وخصوصًا الوليد بن عبد الملك ، توفي في دمشق في نحو سنة (٩٥هـ) .
- السابق ، (٢٢١/٤)

(٤) ديوان عدي بن الرقاع العاملي ، جمع وشرح ودراسة : حسن محمد نور الدين ، ص (٤٠) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط / ١ ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

قال جرير : فحسدته على أبيات منها حتى أنشد في صفة الظبية : (تُزْجِي أَغَنّ كأنَّ إِبْرةَ رَوْقِهِ) . قال : فقلت في نفسي : وقع والله ما يقدر أن يقول أو يُشَبِّه به ، فقال : (قَلَمٌ أصاب من الدَّواة مِدَادَهَا)[١] ، قال : فما قدرت حسدًا حتى انصرفتُ"[٢] ، فالذي دعا جرير إلى فعله هذا هو حسن ما صنعه العاملي في صورته التشبيهية حيث استطاع أن يجمع ببراعة وفطنة عالية بين صورتين متباعدتين ، صورة من بيئة بدوية وصورة من بيئة حضرية ، فحقق الاستطراف والجدة في تشبيهه ، "فهل كانت الرحمة في الأولى ، والحسد في الثانية ، إلا أنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضُر له في أول الفكر وبديهة الخاطر ، وفي القريب من محلّ الظنّ شبَهٌ ، وحين أتمَّ التشبيه وأدَّاه صادفه قد ظَفِر بأقرب صفةٍ من أبعد موصوف ، وعثر على خبيءٍ مكانهُ غيرُ معروفٍ ؟"[٣] .

كما أن التشبيه بين المختلفين في الجنس له تأثير كبير في الصورة التشبيهية ، فقد قال عبد القاهر الجرجاني في تأثير

---

(١) السابق ، ص (٣٥) .

(٢) الكامل في اللغة والأدب ، لأبي العباس المبِّرد ، تحقيق : جمعة الحسن ، (٥٥٤/٢) ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط / ٢ ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

(٣) أسرار البلاغة ، ص (١٥٤) .

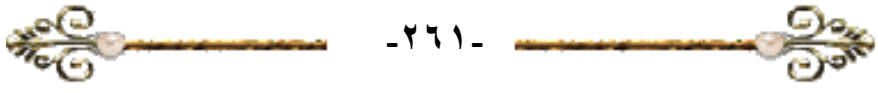

تصوير الشبه بين المختلفين في الجنس : "وهنا ، إذا تأمّلنا ، مذهبٌ آخر في بيان السبب المُوجب لذلك ، هو ألطَفُ مأخذًا ، وأمكنُ في التحقيق ، وأولى بأن يُحيط بأطراف الباب . وهو أنَّ لتصوير الشبه من الشيء في غير جنسه وشكله ، والتقاطِ ذلك له من غير مَحِلّته ، واجتلابِه إليه من الشِّقِّ البعيد[١] ، بابًا آخر من الطَّرف واللُّطْف ، ومذهبًا من مذاهب الإحسان لا يخفى موضعه من العقل"[٢]

ثم ذهب يفصل القول في رجاحة ما قاله ، فيقول : "وهكذا إذا استقريت التشبيهات ، وجدتَ التباعُد بين الشيئين كلما كان أشدَّ ، كانت إلى النفوس أعجب ، وكانت النفوسُ لها أطرب ، وكان مكانُها إلى أن تُحدِث الأريحيّة أقرب . وذلك أن موضعَ الاستحسان ، ومكان الاستطراف ، والمُثيرَ للدفين من الارتياح ، والمتألِّفَ للنافر من المسرة ، والمؤلِّفَ لأطراف البَهْجةِ أنك ترى بها الشيئين مِثْلَين متباينين ، ومؤتلفين مختلفين ، وترى الصورة الواحدة في السماء والأرض ، وفي خِلقة الإنسان

(١) في أصل المخطوط "من النيق البعيد" .
(٢) السابق ، ص (١٢٩) .

وخِلال الروض ، وهكذا ، طرائف تنثالُ عليك إذا فصّلتَ هذه الجملة ، وتتّبعت هذه اللَّمحة" [١] .

ثم يضرب مثالًا على الجمع بين المتباعدين في الجنس ، فينشد قول الشاعر[٢] :

ولازَوَرْدِيّةٌ تزهو بزُرقتها بين الرياض على حُمْرِ اليواقيت

كأنّها فوق قاماتٍ ضَعُفن بها أوائلُ النار في أطراف كبريتِ[٣]

فيعلق على هذه الصورة بقوله : "ولذلك تجد تشبيه البَنَفْسَج في قوله : ولازوردية ... أغربَ وأعجبَ وأحقَّ بالولوع

(١) السابق ، ص (١٣٠) .

(٢) البيتان مختلف في صاحبهما ، فقد قيل : أنهما لأبي العتاهية (شروح التلخيص ٤٠٥/٣) ، وقيل : أنهما لابن الرومي (شروح التلخيص ٤٠٥/٣) ، وقد رجح الشيخ محمود شاكر أنهما للزاهي أبي القاسم على بن إسماعيل بن خلف البغدادي ، أسرار البلاغة ، ص (١٣٠) ، هامش رقم (١) .

(٣) "يشبه نور البنسفج بأوائل النار عند أخذها بأطراف الكبريت في الهيئة الحاصلة من تعلق أجرام صغيرة لطيفة على شكل مخصوص ولون الزرقة بجرم أصغر" .
شروح التلخيص ، (٤٠٥/٣ ، و٤٠٦) .

وأجدَر من تشبيه النرجس : (بمداهن دُرّ حشوهن عقيق)[١] ، لأنه أراك شبهًا لنباتٍ غضٍّ يَرِفُّ ، وأوراقٍ رطبةٍ ترى الماء منها يشفُّ ، بلهب نارٍ في جسمٍ مُسْتَولٍ عليه اليبسُ ، وبادٍ فيه الكَلَف"[٢] .

ويختم الجرجاني حديثه في تأثير تصوير الشبه بين المختلفين في الجنس بقوله : "ومبنى الطباع وموضوع الجِبِلَّة ، على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يُعهَد ظهوره منه ، وخرج من موضعٍ ليس بمعدنٍ له ، كانت صَبَابةُ النفوسِ به أكثر ، وكان بالشَّغَف منها أجدر. فسواءٌ في إثارة التعجُّب ، وإخراجِك إلى روعة المستغرب ، وُجودُك الشيءَ من مكانٍ ليس من أمكنته

---

(١) يشير إلى قول ابن المعتز :

وَعُجْنَا إلى الرَّوْضِ الذي طَلَّه النَّدَى وللصبح في ثوب الظلام حَرِيقُ

كأن عيون النَّرْجَسِ الغَضِّ حَوْلَنَا مَدَاهِنُ دُرٍّ حَشْوُهنَّ عَقيقُ

منسوب لابن المعتز في عدد من الكتب منها : أسرار البلاغة ، ص (٩٥) .

وابن المعتز هو : عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي ، يكنَّى بأبي العباس ، وهو خليفة يوم وليلة ، شاعر مبدع وأولع بالأدب وله مصنفات أشهرها (البديع) ، توفي مقتولًا سنة (٢٩٦هـ) .

- الأعلام ، (١١٨/٤) .

(٢) أسرار البلاغة ، ص (١٣٠) .

، ووجودُ شيءٍ لم يُوجَد ولم يُعرَف من أصله في ذاته وصفته . ولو أنه شبَّه البنفسج ببعض النبات ، أو صادف له شبهًا في شيء من المتلوّنات ، لم تجد له هذه الغرابة ، ولم ينل من الحسن هذا الحظ"[١] .

***

(١) السابق ، ص (١٣١) .

ثانيًا : الاستطراف عن طريق التشبيه المتعدد (العطف بأو وما يشبهها) :

فالتشبيه المعطوف بأحد وسائل العطف (الواو) ، و (أو) له من الطرافة والرونق الشيء الكثير ، ذلك أن النفس تتوق إلى معرفة الفروق بين الأشياء خصوصًا إذا ما جمعت في قالب واحد ، حيث تود معرفة ما يميز ثانيها عن أولها .

وهذا النوع "من التشبيه المتتابع والمعطوف بأو وما يشبهها في حاجة إلى دراسة في القرآن والشعر حتى تتبين الفروق وما جاء به التشبيه الثاني"[١] .

ويطلق على التشبيه المعطوف بأحد وسائل العطف التشبيه المتعدد ، حيث يقال للتشبيه "إن تعدد طرفاه معًا فصار تشبيهات لا تشبيهًا واحدًا ... المتعدد الطرفين"[٢] ، وينقسم إلى أربعة أنواع[٣] :

(١) التصوير البياني ، ص (١٤٥) .
(٢) شروح التلخيص ، (٤٢٦/٣) .
(٣) السابق ، (٤٢٦/٣) وما بعدها .

١. الملفوف : وهو أن يتعدد الطرفان فيجمع كل طرف مع مثله (المشبه مع المشبه ، والمشبه به مع المشبه به) ، حيث يؤتى بالمشبهات أولًا بطريق العطف أو ما شابهه ثم يؤتى بالمشبهات بها ، أو العكس .

٢. المفروق : وهو ما ذكر فيه المشبه والمشبه به ، ثم ذكر مشبه ثان ومشبه به .

٣. تشبيه التسوية : وهو ما تعدد فيه المشبه دون المشبه به .

٤. تشبيه الجمع : وهو ما تعدد فيه المشبه به دون المشبه .

ومن نماذج هذا في نظم ابن درَّاج ما وصف به جنود المنصور بن أبي عامر، حيث قال[١] :

جنودٌ كأَنَّ الأَرضَ من لَمَعَانِهَا بروقٌ تلَالَا أو حريقٌ تَضَرَّما

فابن درَّاج هنا يخبر أن الأرض صار لها لمعانًا وبريقًا كلمعان البرق المتلألئ أو الحريق المتضرم ، وسبب لمعانها يعود إلى الجنود الذين يمشون فوق تلك البقعة من الأرض حيث

(١) ديوان ابن درَّاج القسطلي ، ص (٣٣٨) .

تعكس الشمس أشعتها من خلال أجسام تلك الجنود الذين لبسوا الحديد .

ويظهر الاستطراف هنا بتعدد التشبيه وابتكاره .

فأما استطرافه من جهة تعدده فيعود إلى ما بين التشبيه الأول والتشبيه الثاني من تمايز ، فالبريق المتلألئ يتميز بالسرعة والتكرار فلا يكاد ينقضي برق إلا ويظهر برق آخر ، بخلاف الحريق المتضرم ، فإنه يتميز بالاستمرار والاشتعال والمبالغة ، فالحريق "النار"[١] والنار تبقى مشتعلة باستمرار ما مدت وزودت بالحطب ، والمبالغة في ذلك الحريق تظهر من خلال التشديد في (تضرَّما) حيث "شُدِّدَ لِلْمُبالَغَةِ"[٢] .

وأما استطرافه من جهة الابتكار فتظهر من جانب الفطنة إلى العلاقة الدقيقة بين المشبه والمشبه به ، فالأرض لا تلمع بحد ذاتها وإنما تلمع من خلال الجنود فوقها ، ويعود السبب في لمعان تلك الجنود إلى أسلحتهم وما يلبسونه من دروع مصنوعة من الحديد ، فإذ ما سقطت أشعة الشمس على تلك

(١) لسان العرب ، مادة : (ح ر ق) ، (٢/٨٤٠) .
(٢) السابق ، مادة : (ح ر ق) ، (٤/٢٥٨٢) .

الأسلحة والدروع فإنها تعكس أشعتها ، وفي هذا المشهد يظن الرائي أن الأرض لها لمعان كلمعان البرق أو النار المتضرمة .

***

ثالثًا : الاستطراف عن طريق التمثيل :

يذكر البلاغيون أن التشبيه التمثيلي له درجة عالية من التأثير والاستطراف ، فالمعاني إذا ما أظهرت في صورته "كساها أُبَّهةً ، وكَسَبها مَنْقَبةً ، ورفع من أقدارها ، وشبَّ من نارها ، وضاعف قُواها في تحريك النُّفوس لها ، ودعا القُلوب إليها ، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكَلَفًا ، وقَسَر الطِّباعَ على أن تُعطيها محبّةً وشَغَفًا"[١] .

ومن أمثلة الاستطراف عن طريق التمثيل في تشبيهات ابن درَّاج الحربية قوله واصفًا الجندي العامري[٢] :

مِنْ كُلِّ مِقْدَامٍ يَكَادُ فُؤَادُهُ طَرَبًا إِلَى نَغَمِ السُّيُوفِ يَطِيرُ

مُتَسَرْبِلٍ صَدَأَ الحَدِيدِ كَأَنَّهُ قَمَرٌ تَعَرَّضَ دُونَهُ سَاهُورُ

فالشاعر في البيت الثاني يشبه الجندي العامري وهو مستتر بلباس الحرب بالقمر الذي دخل في ساهوره ، ووجه الشبه هيئة منتزعة من شيء واضح جلي تحول إلى هيئة غامضة يكتنفها الخفاء والسمرة .

(١) أسرار البلاغة ، ص (١١٥) .
(٢) ديوان ابن درَّاج القسطلي ، ص (٣٣٤) .

والصورة هنا ساكنة لا حركة فيها ، وهذا لا يتعارض مع التركيب ، ف"كما يقع التركيب في هيئة الحركة قد يقع في هيئة السكون"[١] .

فابن درَّاج يقدم في هذا التشبيه التمثيلي[٢] صورة تزخر بالطرافة والإبداع ، فهو يلتقط مشهدًا ساكنًا للجندي وهو متسربل بلباس الحرب ، ومعلوم أن التسربل بالحديد يخفي الملامح الشخصية للجندي فهو مستتر من رأسه إلى أخمص قدميه ، فهذا الصورة للجندي جعلت الشاعر يفطن ببراعة عالية إلى صورة القمر في حالة كسوفه ، فهو أيضًا قد استتر واحتجب عن الأنظار ، واختفت مع هذا الاستتار الملامح المعروفة للقمر.

فهذا التشبيه لا يظهر معناه من القراءة الأولى أو حتى الثانية ، فلا بد من التفكر وكد الذهن حتى الوصل إلى مراد الشاعر، لاسيما أنه تشبيه مركب يزخر بالشاعرية .

---

(١) شروح التلخيص ، (٣٧٢/٣) .

(٢) وهو تشبيه تمثيلي على مذهب الخطيب وجمهور البلاغيين ، وليس بتمثل على مذهب الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، وكذلك ليس بتمثيل عند السكاكي

وهكذا استطاع الشاعر بفطنته الفذة أن يتجاوز ما تحضره العين إلى ما يحضره العقل مستعينًا بالتصوير الخيالي حتى يستطيع من خلاله إبراز ما لا يستطيع إبرازه التعبير العادي .

وتجاوز ما تحضره العين إلى ما يحضره العقل لا شك أنه يكسب التشبيه عناصر الإبداع والجدة والطرافة ، وهذا يعود إلى أن "العيون هي التي تحفظ صُوَر الأشياء على النفوس ، وتجدِّدُ عهدها بها ، وتحرسها من أن تدْثُر ، وتمنعها أن تزول ، ولذلك قالوا : (من غاب عن العين فقد غاب عن القلب) ، وعلى هذا المعنى كانت المُدارسةُ والمُناظرةُ في العلوم وكُرُورها على الأسماع ، سَبَبَ سلامتها من النسيان ، والمانعَ لها من التفلُّت والذهاب"[١] .

وعلى النقيض من هذا فإن التشبيه الذي يقوم على أمور تقل رؤيتها أو يصعب الفطنة لها يعدُّ تشبيهًا مستطرفًا نادرًا ، فالشاعر "الموهوب يفكر بالصورة ولكنه ليس جامع تلفيقات هدفها أن تقول ببساطة إن هذا الشيء يشبه كذا ، أو يذكر

(١) أسرار البلاغة ، ص (١٦٥) .

بكذا ، إن العلاقة جزء أساسي من الصورة ، وهي علاقة حقيقية ليس بالمعنى العلمي الذي يمكن التحقق منه بأدوات معملية أو براهين عقلية ، إنها نوع من الكشف أو الاكتشاف القائم على قوة التركيز ونفاذ البصيرة التي تدرك ما لم يسبق لنا أن أدركناه ، أو نادرًا ما ندركه ، ومن هنا تكون الهزة المفاجئة التي تصنعها الصورة ، وتكون حالة الارتياح والتوازن التي تدركنا بعد قراءتها"[١] .

***

(١) الصورة والبناء الشعري ، د . محمد حسن عبد الله ، ص (٣٣) ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون طبعة وتاريخ .

رابعًا : الاستطراف عن طريق الادعاء والمبالغة (التشبيه المقلوب) :

ومن التشبيهات التي تقوم على الادعاء والمبالغة التشبيه المقلوب ، وهذا النوع من التشبيه يسميه ابن جني (غلبة الفروع على الأصول) ، حيث يقول في ذلك : "هذا فصل من فصول العربية طريف ، تجده في معاني العرب ، كما تجده في معاني الأعراب . ولا تكاد تجد شيئًا من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة . فمما جاء فيه ذلك للعرب قول ذي الرمة[1] :

وَرَمْلٍ كَأَوْرَاكِ العَذَارَى قَطَعْتُهُ إِذَا أَلْبَسَتْهُ المظْلِمَاتُ الحنَادِسُ

أفلا ترى ذا الرمة كيف جعل الأصل فرعًا والفرع أصلًا، وذلك أن العادة والعرف في نحو هذا أن تشبه أعجاز النساء بكثبان الأَنقَاءِ ... ، فقلب ذو الرمة العادة والعرف في هذا ، فشبه كثبان الأنقاء بأعجاز النساء ، وهذا كأنه يخرج مخرج

(١) ديوان ذو الرمة غيلان بن عقبة العدوي ، شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي ، رواية الإمام أبي العباس ثعلب ، حققه وقدم له وعلق عليه : د . عبد القدوس أبو صالح ، (١١٣١/٢) ، مؤسسة الإيمان للتوزيع والنشر والطباعة ، ط / ١ ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .
وذو الرمة هو : غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي ، من مضر ، كنيته أبو الحارث ، ولقبه ذو الرمة ، شاعر أموي من فحول الطبقة الثانية ، توفي سنة (١١٧هـ) .
- الأعلام ، (١٢٤/٥) .

المبالغة ، أي قد ثبت هذا الموضع وهذا المعنى لأعجاز النساء وصار كأنه الأصل فيه ، حتى شبَّه به كثبان الأنقاء"[١]

وقد عرض ابن الأثير لهذا النوع من التشبيه فسماه (الطرد والعكس) ، فيقول في ذلك : "واعلم أن من التشبيه ضربًا يسمى الطرد والعكس ، وهو أن يجعل المشبه به مشبهًا والمشبه مشبهًا به ، وبعضهم يسميه غلبة الفروع على الأصول ، ولا تجد شيئًا من ذلك إلا والغرض به المبالغة"[٢] ، ثم يبين ابن الأثير ما في هذا النوع من الحسن والطرافة ، فيقول : "ولما نظرت أنا في ذلك ، وأنعمت نظري فيه ؛ تبين لي ما أذكره ، وهو : أنه قد تقرر في أصل الفائدة المستنتجة من التشبيه أن يشبه الشيء بما يطلق عليه لفظة أفْعَلَ : أي يشبه بما هو أبين وأوضح ، أو بما هو أحسن منه أو أقبح، وكذلك يشبه الأقل بالأكثر، والأدنى بالأعلى .

---

(١) الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : الشربيني شريدة ، (٣٦٨/١) وما بعدها ، دار الحديث ، القاهرة ، بدون طبعة ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لابن الأثير ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، (٤٠٣/١) ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، بدون طبعة ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م .

وهذا الموضع لا ينقض هذه القاعدة ؛ لأن الذي قدمناه ذكره مطرد في بابه ، وعليه مدار الاستعمال ، وهذا غير مطرد ، وإنما يحسن في عكس المعنى المتعارف ، وذاك أن تجعل المشبه به مشبهًا ، والمشبه مشبهًا به ، ولا يحسن في غير ذلك مما ليس بمتعارف ، ألا ترى أن من العادة والعُرْف أن تشبه الأعجاز بالكُثْبَان ، فلما عكس ذو الرمة هذه القضية في شعره جاء حسنًا لائقًا ؟ ... ولو شبه ذو الرمة الكثبان بما هو أصغر منها غير الأعجاز لما حسن ذلك"[(١)] .

وسبب الاستطراف في التشبيه المقلوب يعود إلى المبالغة والادعاء ، حيث يريد المبدع أن يوقع "في فهم السامع أن المشبه به الناقص أتم من المشبه في وجه الشبه؛ لأن مقتضى أصل تركيب التشبيه كمال المشبه به عن المشبه في وجه الشبه"[(٢)] .

فالمبدع أو الأديب يقصد من خلال هذا النوع من التشبيه "على عادة التخييل ، أن يُوهِم في الشيء هو قاصر عن نظيره في

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لابن الأثير ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، (٤٠٤/١) ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، بدون طبعة ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م .

(٢) شروح التلخيص ، (٤٠٧/٣) .

الصفة أنه زائد عليه في استحقاقها ، واستيجاب أن يُجعَل أصلًا فيها ، فيصحُّ على موجَب دعواه وسَرَفه أن يجعل الفرعَ أصلًا ، وإن كُنَّا إذا رجعنا إلى التحقيق ، لم نجد الأمر يستقيم على ظاهر ما يضع اللفظ عليه"[١] ، والمتلقي يجد في هذا النوع "خِلابة وشيئًا من السحر"[٢] .

ولا شك أن هذا النوع من استطراف التشبيه يجلب المبالغة في الوصف ، وذلك بسبب أنه "يجعل ما الوجه فيه أتم مشبهًا ليتوهم السامع أن المشبه به أتم في الوجه من المشبه اعتمادًا على القاعدة من كون الوجه في المشبه به أتم ويكون الأمر بالعكس"[٣] .

ومن أمثلة ذلك في تشبيهات ابن درَّاج الحربية قوله[٤] :

همَامٌ لَهُ مِنْ فَخْرِ يَعْرُبَ فِي العُلَا ذُرَى كُلِّ سَامِي السَّبْكِ رَاسِي القَوَاعِدِ

مـحـاتِـدُ[٥] عِـزٍّ وَاعْـتَـلَاءٍ كَـأَنَّـمَـا سَنَا الشَّمْسِ مِنْ إِشْرَاقِ تَلكَ المحَاتِدِ

---

(١) أسرار البلاغة ، ص (٢٢٣) .
(٢) السابق ، ص (٢٢٣) .
(٣) شروح التلخيص ، (٤٠٧/٣) .
(٤) ديوان ابن درَّاج القسطلي ، ص (٣٤٥) .
(٥) المَحْتِدُ : الأَصْلُ وَالطَّبْعُ ، والحَتِدُ : الخَالِصُ من كُلِّ شَيْءٍ ، لسان العرب لابن منظور ، مادة : (ح ت د) ، (٧٦٨/٢) .
والمعنى أصول عز واعتلاء ، أو خالص عز واعتلاء .

فالشاعر في البيت الثاني يجعل ضوء الشمس يستمد إشراقه من أصل المنصور[١] الضارب في الأصالة والعراقة ، وهذا جريٌ على طريق التشبيه المقلوب ، إذا أن الشمس بإشراقها وضوئها أكمل من إشراق نسب المنصور .

ويظهر موطن الاستطراف في قلبه ؛ لأن الذي اعتدنا عليه أن تشبه الأشياء المضيئة بسنا الشمس لا العكس ، كما أن صفة الإضاءة في الشمس حقيقية ، وغير حقيقة في نسب المنصور .

والذي جعل هذا التشبيه طريفًا – حيث تحس النفس بجماله – احتوائه على عنصر الإدعاء والمبالغة والتخييل ، حيث جعل الشاعر نسب المنصور مشرقًا ، والحقيقة أن الأنساب والأصول والأعراق والأجناس لا إشراق لها في الحقيقة، ولكن لما كان للنسب الطيب صيت وسمعة حسنة بين الناس جُعلت تلك السمعة كإشراق الشمس على سبيل التخييل لما بينهما من حسن وجمال .

(١) سبق التعريف به ، ص ( ) ، هامش رقم ( ) .

فالشاعر في هذه الصورة يرسم نسب المنصور بريشة الخيال ، فيجعل له نورًا وسنا أشد من سنا الشمس ، بل إن سنا الشمس يستمد ذلك النور من إشراق نسب المنصور ، وهذا كله يدور على التخييل في التشبيه والمبالغة في الوصف ، والمبالغة ليست محمودة في كل الأحوال ، والذي جعلها محمودة هنا مجيئها في سياق المدح ، والمدح تسوغ فيه المبالغة وتقبلها الأذواق إذ ما كانت في حضرته ، فأجمل وَصْفَة في أسلوب المدح الجيد ما جاء في وصية أبي تمام[١] للبحتري[٢] ، فمما جاء فيها : "... فإذا أخذت في مدح سيد ذي أيادٍ فأشْهر مناقبه ،

(١) هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، يكنَّى بأبي تمام ، أحد أمراء البيان ، شاعر عباسي ، توفي في الموصل سنة (٢٣١هـ) .
- الأعلام ، (١٦٥/٢) .

(٢) هو الوليد بن عبيد بن يحيي الطائي ، يكنَّى بأبي عبادة البحتري ، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم (المتنبي ، وأبو تمام ، والبحتري) ، توفي سنة (٢٨٤هـ) .
- السابق ، (١٢١/٨) .

وأظهر مناسبه ، وأبِنْ معالمه ، وشَرِّف مقامه ، ونَضِّدِ المعاني ، واحذر المجهول منها ..."[١] .

ولا يخفى أن الخيال كان له دور بارز في تركيب هذه الصورة التشبيهية ، كما أن الشاعر بصنعته تلك أظهر عن براعة عالية في التخييل ، والصنعة إنما تتسع وتمتد إذ ما اعتمدت على التخييل ، فمن خلالها يجد الشاعر سبيلًا إلى الإبداع والابتكار والجدة والطرافة .

***

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحُصَري القيرواني ، ضبطه وشرحه وعلق عليه وقدم له : د . يوسف علي طويل ، (١١٣/١) ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط / ١ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

خامسًا : الاستطراف عن طريق الابتكار وتجديد الصور المألوفة :

يُشترط في طرافة التشبيه الجدة والابتكار ، فمن صفات وخصائص التشبيهات المثلى كون التشبيه قائمًا على "الابتكار ، والابتعاد عن الاجترار والتكرار للتشبيهات المستعملة كثيرًا في أقوال الشعراء والأدباء"[(١)] .

ولكن هذا الشرط لا يعني تكليف المبدع أو الأديب إنشاء التشبيه من شيءٍ غير مسبوق أو معدوم ، أو السير على غير هدى سابق ، "فالخلق ليس معناه أن تخرج من العدم وجودًا . وإنما الخلق في الأدب والفن – وربما في كل شيء – هو أن تنفخ روحًا في مادة موجودة ... كذلك ليس الابتكار في الأدب والفن أن تطرق موضوعًا لم يسبقك إليه سابق ، ولا أن تعثر على فكرة لم تخطر على بال غيرك .. إنما الابتكار الأدبي والفني ، هو أن تتناول الفكرة التي قد تكون مألوفة للناس ، فتسكب فيها من أدبك وفنك ما يجعلها تنقلب خلقًا جديدًا يبهر العين

(١) البلاغة العربية "أسسها ، وعلومها ، وفنونها ، وصور من تطبيقاتها ، بهيكلٍ جديد من طريف وتليد" ، لعبد الرحمن حبنكة الميداني ، (١٧١/٢) ، دار القلم ، دمشق ، ط/ ٣ ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م .

ويدهش العقل .. أو أن تعالج الموضوع الذي كاد يبلى بين أصابع السابقين ؛ فإذا هو يضئ بين يديك ، بروح من عندك"[١] .

فأغلب المواضيع والأفكار في الأدب منقولة من موضوعات وأفكار سابقة ويستوي في ذلك الأدب العربي والغربي ، فإذ ما "عرجنا على الأدب العربي القديم ، فإننا نجد في الشعر معنى البيت الواحد وموضوعه ، يتنقلان من شاعر إلى شاعر ، ويلبسان في كل زمن حلة وصياغة ، حتى اختلف النقاد والباحثون والأدباء فيمن يفضلون : أهو أول من طرق الفكرة والموضوع ، أم من صاغهما وأجراهما على الألسن وأتاح لهما الذيوع ؟.. على أن أرجح الرأي هو أن الموضوع في الفن ليس بذي خطر . وليست الحوادث والوقائع في القصص والشعر والتمثيل بذات قيمة ، ولكن القيمة والخطر في تلك الأشعة الجديدة التي يستطيع الفنان أن يستخرجها من هيكل تلك الموضوعات والحوادث والوقائع"[٢] .

---

(١) فن الأدب ، لتوفيق الحكيم ، ص (١١) ، دار مصر للطباعة ، بدون طبعة وتاريخ.
(٢) فن الأدب ، ص (١٢) .

فالفن "ليس في الهيكل ، إنه في الثوب ، والفن هو الثوب الجديد الذي يلبسه الفنان للهيكل القديم . إنه الكسوة المتجددة لكعبة لا تتغير"[١] .

والتجديد في الصور والأفكار المطروقة ليس بالمطلب اليسير ، "فما أشق الإتيان بجديد في موضوع غير جديد ..! وما أعسر الكشف عما لم يكشف في بناء تقتحمه العيون وتنقب فيه العقول في كل الشعوب وكل الأزمان"[٢] .

فالابتكار لا علاقة له بإنشاء فكرة جديدة أو قديمة ، غريبة أو مألوفة ، ولا بالموضوع المطروق إذن ، وهذا يطرح سؤالًا "ما هو الابتكار الفني ؟ فأقول لك بسرعة وبساطة هو أن تكون أنت .. هو أن تحقق نفسك ، هو أن تسمعنا صوتك أنت، ونبرتك أنت"[٣] .

وهذا الذي قد تراه في غاية السهولة هو في الحقيقة في غاية الصعوبة على الأديب والفنان ، فما "أصعب إظهار الفنان شخصيته هو لا شخصية سواه ، وإسماع صوته هو لا صوت

(١) السابق ، ص (١٢) .
(٢) السابق ، ص (١٢) .
(٣) السابق ، ص (١٢) .

غيره !.. قد يبدو ذلك سهلًا لأول وهلة ، وقد يعتقد الفنان أو الأديب اعتقادًا جازمًا أنه ينطق بلسانه هو دون أن يدري ، أو يفطن إلى أنه يردد لغة من سبقوه ، ويدور في فلك عظيم من عباقرة الأدب والفن ، وهو لا يشعر أو يريد" .[١] .

وعدم شعور الأديب بأنه يسير في فلك عظيم ظاهر ، فمن ذلك ما جاء في معلقة طرفة بن العبد[٢] وذلك في قوله[٣] :

وقُوفًا بها صَحْبِي عَليَّ مطيَّهُمْ يَقُولونَ : لا تَهلِكْ أَسىً وتَجلَّدِ

فقد روي أن طرفة أقسم بأنه لم يسمع قول امرئ القيس[٤] :

---

(١) السابق ، ص (١٤) .

(٢) هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي ، يكنى بأبي عمرو ، شاعر جاهلي من شعراء الطبقة الأولى ، أشهر شعره معلقته ، وله ديون مطبوع ، توفي في نحو سنة (٧٠ ق هـ) .
- الأعلام ، (٢٢٥/٣) .

(٣) شرح المعلقات السبع الطوال الجاهليات ، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، (١٣٥) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط / ٥ ، بدون تاريخ .

(٤) السابق ، (٢٣) .
وهو : امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث الكندي ، من بني آكل المرار ، اختلف المؤرخون في اسمه ، فقيل : حُنْدُج ، وقيل : مليكة ، وقيل : عدي ، يماني الأصل نجدي المولد ، كان أبوه ملك أسد وغطفان ، أشهر شعراء العرب على الإطلاق ، وله ديون مطبوع ، توفي في نحو سنة (٨٠ ق هـ) .
- الأعلام ، (١١/٢) .

وُقوفًا بها صَحْبِي عليَّ مطِيَّهُم يقُولونَ : لا تَهلِكْ أَسىً وتَجَمَّلِ

فثبت له البيت بسبب ذلك الحلف[١] .

ومن الأفكار التي أخذها ابن درَّاج من الذين سبقوه صورة الشمس ذلك النجم العظيم الذي بظهوره يزول كل كوكب ونجم وكل ظل أيضًا ، وهي صورة تعد من الصور البصرية ، حيث قال مادحًا المنصور بن أبي عامر[٢] :

وَقَدْ أَفْطَرَ الإِسْلَامُ والسَّيْف صَائِمٌ وَعلَّتْ ظِمَاءٌ وَالرِّمَاحُ نَوَاهِلُ

فَأَوْرِدْ صَوَادِيهَا فَقَدْ طَابَ مَشْرَعٌ وَقَدْ حَانَ مَأْكُولٌ وَقَدْ حَنَّ آكِلُ

فَمَا أَنْتَ إِلَّا الشَّمْسُ تَطلعُ للعِدَى فَظِلُّهُمُ حَتْمًا بِنُورِكِ زَائِلُ

كَرُمْتَ فَمَا يَعْيَا بِحَمْدِكَ مُفْحَمٌ وَسُدْتَ فَمَا يَغْنَي بِقَدْرِكَ جَاهِلُ

فهو في البيت الثالث يشبه المنصور بالشمس ووجه الشبه ظهور شيء يغطي على غيره ، فكما أن الشمس يزول معها كل ظلٍّ ، كذلك المنصور يزول كل عدو أمامه .

وفكرة الشمس التي لا يبقى معها شيء أو يقف في وجهها شيء مطروقة قبل ابن درَّاج ، فمن الذين طرقوا هذه الفكرة

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، (٢٨٩/٢) .
(٢) ديوان ابن درَّاج القسطلي ، ص (١٧) و(١٨) .

قبله ، النابغة الذبياني[١] في اعتذاره للنعمان[٢] لمدحه آل جفنه الغسانيين[٣] منافسين النعمان والملوك لا تريد أحدًا يشاركها حتى في المدح ، فقال النابغة معتذرًا[٤] :

ألـمْ تَـرَ أن اللهَ أعـطـاكَ سُـورَةً ترى كلّ مَلْكٍ ، دونَها ، يتذَبذَبُ

فإنكَ شَمسٌ ، والملـوكُ كـواكِـبٌ إذا طَلَعَتْ لم يَبدُ منهنَّ كوكَبُ

فالشاعر يشبه النعمان بالشمس ، وغيره من الملوك بالكواكب ، ووجه الشبه بينهما ظهور شيء يغطي على غيره ، فكما أن الشمس تفضل كل كوكب ونجم وتغطي عليه كذلك ممدوح الشاعر فإنه يفضل كل ملك ويغطي عليه .

---

(١) هو : زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري ، يكنَّى بأبي أمامة ، شاعر جاهلي من شعراء الطبقة الأولى ، من أهل الحجاز ، وهو أحد الأشراف في الجاهلية ، وكانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها ، توفي في نحو سنة (١٨ ق هـ) .
- الأعلام ، (٥٤/٣) .

(٢) هو : النعمان (الثالث) ابن المنذر (الرابع) ابن المنذر بن امرئ القيس اللخمي ، يكنَّى بأبي قابوس ، من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية ، وهو ممدوح النابغة وحسان بن ثابت وحاتم الطائي ، توفي في نحو سنة (١٥ق هـ) .
- السابق ، (٤٣/٨) .

(٣) آل جَفْنَةَ ملوك من أهل اليمن كانوا استوطنوا الشام .
- لسان العرب ، مادة (ج ف ن) ، (٦٤٥/١) .

(٤) ديوان النابغة الذبياني ، اعتنى به وشرحه : حمدُو طمّاس ، ص (١٩ ، و٢٠) ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط / ٢ ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

"وقد سبق بعض شعراء كندة[١] النابغة إلى هذا المعنى ، فقال[٢] يمدح عمرو بن هند[٣] :

تكادُ تَميدُ الأرضُ بالناس إن رأوا لِعَمْرو بن هِندٍ غضبَةٌ وهو عاتِبٌ

هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت على كل ضوءٍ والملوك كواكبُ[٤]

فالشاعر يشبه ممدوحه بالشمس التي فَضُلَتْ على سائر الأضواء ، وغيره من الملوك بالكواكب ، والوجه هنا كالوجه في الصورة السابقة .

وتتفق تلك الصور الثلاث – بالإضافة إلى اشتراكهما في المعنى – في نوع التشبيه ، فجميع تلك التشبيهات تنتمي إلى التشبيه البليغ ، كما تتفق أيضًا في لفظ المشبه به (الشمس) ،

---

(١) كندة أبو قبيلة من العرب ، وقيل : أبو حيٍّ من اليمن ، وهو : كِنْدَةُ بن ثور .
- لسان العرب ، مادة : (ك ن د) ، (٣٩٣٦/٥) .

(٢) لم أعثر على اسمه .

(٣) هو : عمرو بن المنذر الثالث ابن امرئ القيس بن النعمان بن الأسود ، من بني لخم ، عرف بنسبته إلى أمه (هند) تمييزًا له عن أخيه الأصغر عمرو الأصغر ، تولى الملك بعد أبيه ، وفي أيامه ولد الرسول – صلى الله عليه وسلم – واستمر ملكه خمسة عشر عامًا ، توفي في نحو سنة (٤٥ ق هـ) .
- الأعلام ، (٨٦/٥) .

(٤) ديوان المعاني ، لأبي هلال العسكري ، شرحه وضبط نصه : أحمد حسن بسج ، (٢٠/١) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط / ١ ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م

وتتفق أيضًا في وجه الشبه الذي هو عبارة عن ظهور شيء يغطي على غيره .

وتتفق صورة النابغة مع صورة الكندي في احتواء كلٍّ منها على تشبيهين (تشبيه الممدوح بالشمس ، وتشبيه منافسيه بالكواكب) ، وهذان التشبيهان يدعم بعضهما بعضًا ، بينما صورة ابن درَّاج احتوت على تشبيه واحد (تشبيه الممدوح بالشمس) .

وتختلف الصور الثلاث في نوع الأسلوب من حيث القوة والتأكيد والمبالغة ، ومن حيث عدمها ، فابن درَّاج استخدم أسلوب القصر الذي يدل على المبالغة والتأكيد .

والنابغة استخدم (إن) التي تدل على تأكيد الحكم ، فمؤكدات "الحكم كثيرة منها : إن ، وأن ، ولام الابتداء ، والقسم ، ونون التوكيد وحروف التنبيه نحو : (ألا) و(ها) ، والحروف الزائدة ، وقد ، وضمير الفصل ، والتقديم إلى غير ذلك من المؤكدات"[١] .

(١) علم المعاني ، لبسيوني فيود ، ص (٣٦) .

والكندي لم يستخدم في صورته أساليب المبالغة أو التأكيد .

وينفرد النابغة باستخدام أسلوب الشرط (إذا) ، بينما خلت صورة ابن درَّاج والكندي من ذلك .

وقد أحسن النابغة اختيار أداة الشرط (إذا) دون (إن) ، فمعلوم أن (إذا) تستخدم للأمر الذي يصعب أن يكون وكان ، هذا إلى جانب دلالتها على القطع ، وأن (إن) تستخدم للأمر الذي لا ينبغي أن يكون ، إلى جانب دلالتها على الشك[١] .

وتختلف تلك الصور في صورة المشبه ، فابن درَّاج عبر عن المشبه بالضمير المنفصل (أَنْتَ) الذي يدل على الخطاب

والنابغة عبر عن المشبه بالضمير المتصل الكاف في قوله (فإنك) الذي يدل على الخطاب أيضًا .

والكندي عبر عن المشبه بالضمير المنفصل (هو) الذي يدل على الغائب .

---

(١) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل المعاني ، د . محمد بن محمد أبو موسى ، ص (٣٥٨) وما بعدها ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط / ٨ ، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م .

ويحسب للشعراء الثلاثة التعبير عن طلوع الشمس بالفعل الذي يدل على التجدد والتعاقب وعدم الاستمرار، فلو كان التعبير بالاسم لما أفاد ذاك التجدد والتعاقب الذي يدل عليه الفعل فالشمس متجددة لا ثبوت في ظهورها وكذا ممدوح الشعراء لا يثبت أمامهم أي ملك آخر فهو لا محالة زائل مهما علا شأنه .

وهكذا نجد الشعراء الثلاثة اتفقوا في أشياء واختلفوا في أشياء ، فكل شاعر كان له شخصية المستقلة في إبداع صورته.

ومن الأفكار التي أخذها ابن درَّاج من الذين سبقوه أيضًا صورة صدى السهم إذا خرج من القوس ، وهي صورة تعد من الصور السمعية ، حيث قال واصفًا ذلك الصدى المنبثق من القوس[١] :

وَحَنَّانِةِ الأَوْتَارِ فِي كُلِّ مُهْجَةٍ لِعَاصِيكَ أَوْتَارٌ لَهَا وَذُحُولُ

إِذَا نَبْعُهَا عَنْهَا أَرَنَّ فَإِنَّمَا صَدَاهُ نَحِيبٌ فِي العِدَى وَعَوِيلُ

(١) ديوان ابن درَّاج القسطلي ، ص (٦) .

فهو في البيت الأخير يشبه صدى السهم الخارج من القوس بالنحيب والعويل الذي يكون في الأعداء بجامع الرنين الشديد في كل .

وهذه الفكرة مطروقة قبل ابن درَّاج ، فمن الذين طرقوها الشنفرى[١] ، حيث قال[٢] :

وإِنّي كَفَاني فَقْدَ مَنْ ليس جَازيًا بحُسْنَى ولا في قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ

ثَلَاثَةُ أَصْحَابٍ : فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ وأَبْيَضُ إِصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ

هَتُوفٌ مِنَ المُلْسِ المُتُونِ نَزِينُها رَصَائِعُ قد نِيطَتْ إِلِيها وَمِحْمَلُ

إذا زَلَّ عنها السَّهْمُ حَنَّتْ كأَنَّها مُرَزَّأَةٌ عَجْلَى تُرِنُّ وَتُعْوِلُ

فالشاعر في البيت الأخير يشبه القوس بامرأة ولهى قد أصيبت بفقد عزيز لها ، فهي تتعجل في جيئتها ، وذهابها ، من شدة حزنها ووجدها .

---

(١) هو : عمرو بن مالك الأزدي ، من قحطان ، شاعر جاهلي يماني من فحول الطبقة الثانية ، يلقب بالشنفرى ، له ديوان مطبوع ، كان من فتاك العرب وعدائيهم ، توفي مقتولًا في نحو سنة (١٠٠ ق هـ) .
- الأعلام ، (٨٥/٥) .

(٢) ديوان الشنفرى عمرو بن مالك ، جمعه وحققه وشرحه : د . إميل بديع يعقوب ، ص (٦٠) ، دار الكتاب العربي ، ط / ٢ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .

ومنهم أيضًا ، الشماخ بن ضرار[١] ، حيث قال[٢] :

إِذَا أَنْبَضَ الرَّامون تَرَنَّمتْ تَرَنُّمَ ثَكْلَى أَوْجَعْتها الجَنَائِزُ

فالشاعر يشبه صوت القوس وذلك عند الإنباض بصوت الثكلى التي تعاني من وجع موت أحبابها وأقاربها .

وهذه الصور الثلاث للقوس تتفق فيما بينها – بالإضافة إلى اشتراكها في المعنى – باستخدام أداة الشرط (إذا) في افتتاح الصورة التشبيهية ، وجمعها بين عناصر متباعدة أشد البعد فالمشبه صوت القوس وهي من الآلات الصناعية والمشبه به الصوت الصادر من كائن بشري ، وتختلف في فعل الشرط وجوابه .

فابن درَّاج استخدم الاسم (نبعها) الذي يدل على كرم ما صنعت منه القسي فَـ"كُلُّ القِسِيّ إِذَا ضُمَّتْ إِلَى قَوْسِ النَّبْعِ

---

(١) هو الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني ، وقيل اسمه : معقل بن ضرار والشماخ لقبه ، شاعر مخضرم من طبقة لبيد والنابغة ، وله ديوان مطبوع ، شهد القادسية ، وتوفي – رحمه الله – في غزوة موقان وذلك في سنة (٢٢هـ) .
- الأعلام ، (١٧٥/٣) .

(٢) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، حققه وشرحه : صلاح الدين الهادي ، ص (١٩١) ، دار المعارف بمصر ، بدون طبعه وتاريخ .

كَرَمَتْهَا قَوْسُ النَّبْعِ ، لأَنَّهَا أَجْمَعُ القِسِيِّ للأَرْزِ [أي الشدة] وَاللِّينِ"[١] .

والشنفرى استخدم الفعل (زلَّ) الذي يدل على الانسياب في خروج السهم ف"زَلَّ السَّهْمُ عن الدِّرْعِ ، والإِنْسانُ عن الصَّخْرَةِ ، يَزِلُّ وَيَزَلُّ زَلًّا وَزَلِيلًا وَمَزِلَّةً : زَلِقَ"[٢] .

والشماخ استخدم الفعل (أنبض) الذي يدل على الشدة في جذب أوتار القوس حتى يخرج منه صوت الرنين ف"أَنْبَضَ القَوْسَ مِثْلُ أَنْضَبَهَا : جَذَبَ وَتَرَهَا لِتُصَوِّتَ"[٣] .

وكما اختلفوا في صورة فعل الشرط ، اختلفوا أيضًا في جوابه ، فابن درَّاج استخدم الفعل (أرن) الذي يدل على البكاء الشديد والصوت الحزين ، ف"الرَّنَّةُ : الصَّيْحَةُ الشَّدِيدَةُ وَالصَّوْتُ الْحَزِينُ عِنْدَ الْغِنَاءِ أَوْ الْبُكَاءِ ، فَرَنَّتْ تَرِنُّ رَنِينًا وَرَنَّنَتْ تَرْنِينًا وَتَرْنِيَةً وَأَرَنَّتْ : صَاحَتْ"[٤] .

---

(١) لسان العرب ، مادة : (ن ب ع) ، (٤٣٢٧/٦) .
(٢) السابق ، مادة : (ز ل ل) ، (١٨٥٥/٣) .
(٣) السابق ، مادة : (ن ب ض) ، (٤٣٢٥/٦) .
(٤) السابق ، مادة : (ر ن ن) ، (١٧٤٦/٣) .

والشنفرى استخدم الفعل (حنت) الذي يدل على جودة وعتق عود القوس ، ف"الحَنَّانُ من السّهام : الَّذِي إِذا أُدِيرَ بالأَنامِلِ عَلَى الأَباهِيمِ حَنَّ لِعِتْقِ عُودِهِ والتِئَامِهِ"[١] .

والشماخ استخدم الفعل (ترنمت) الذي يدل على حسن الصوت ، ف"التَّرَنُّمُ : التَّطْرِيبُ والتَّغَنِّي وتَحْسِينُ الصَّوْتِ بِالتِّلَاوَةِ ، ويُطْلَقُ عَلَى الحَيَوَانِ والجَمَادِ ... وتَرَنَّمَ القَوْسُ عِنْدَ الإِنْبَاضِ ، وتَرَنَّمَ الحَمَامُ والقَوْسُ والعُودُ ، وكُلُّ ما اسْتُلِذَّ صَوْتُهُ وسُمِعَ مِنْهُ رَنَمَةٌ حَسَنَةٌ فَلَهُ تَرْنِيمٌ"[٢] .

ويتفق ابن درَّاج والشماخ في نوع التشبيه ، فكلاهما استخدم التشبيه البليغ ، بينما جاء تشبيه الشنفرى مرسلًا مجملًا .

أما عن صورة المشبه به في الصور الثلاث فقد جاء منكَّرًا ومتعددًا عند ابن دراج ، وجاء معرَّفًا بالإضافة ومفردًا عند الشنفرى والشماخ .

---

(١) السابق ، مادة : (ن ب ض) ، (١٠٣١/٢) .
(٢) السابق ، مادة : (ر ن م) ، (١٧٤٥/٣ ، و١٧٤٦) .

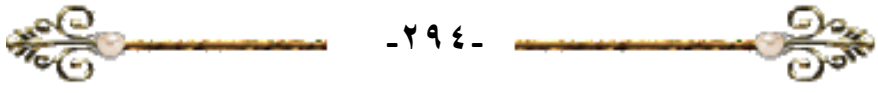

فابن درَّاج اختار صورة (نحيب في العدى وعويل) ، وهي صورة تدل على الحزن الذي يصاحبه البكاء الشديد ، "فَالنَّحِيبُ : رَفْعُ الصَّوْتِ بِالْبُكَاءِ ، وَهُوَ أَشَدُّ الْبُكَاءِ"[١] و"الْعَوِيلُ : صَوْتُ الصَّدْرِ بِالبُكَاءِ"[٢] .

وجاءت صورة المشبه به عند الشنفرى (مُرَزَّأَةٌ عَجْلَى تَرِنُّ وتُعْوِلُ) ، وهي صورة تدل على ما أصاب تلك الثكلى "من شدة الوجد والحُزن ، والجزع ، وهي تصدر تارة أصواتًا شجية حزينة ، كأنها الشَّجا يعترض في حلقها ، وتارة أخرى ترفع صوتها بالبكاء والصياح ، أو تصدر صوتًا من غير بكاء هو حرارةُ وجْدِها ، وحُزنِهَا ، وألمها"[٣] .

أما الشماخ فقد جاءت عنده صورة المشبه به (تَرَنُّمَ ثَكْلَى أَوْجَعْتها الجَنَائِزُ) ، وهي صورة تدل على شيء من الرومانسية ، فتلك القوس لها قصة طويلة مثبتة في تلك القصيدة ، فهو أَوْلَاهَا عناية فائقة منذ كانت نبتة إلى أن أضحت قوسًا ،

---

(١) السابق ، مادة : (ن ح ب) ، (٤٣٦٢/٦) .

(٢) السابق ، مادة : (ع و ل) ، (٣١٧٥/٤) .

(٣) من كنوز الشعر العربي لامية العرب للشنفرى "دراسة بلاغية" ، د . أحمد إبراهيم ، ص (١٣٧٢) ، مستل من : حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببني سويف – جامعة الأزهر ، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م .

"وهكذا استمرت القصيدة تتناول الأَحوال ، والمراحل ، إلى أن باعها"[١] ، فيقول الشماخ واصفًا حاله عند بيع القوس[٢] :

فلمَّا شَرَاهَا فاضت العينُ عَبْرَةً وفي الصدر من الوجْدِ حَامِزُ

وذاق فأَعطتْه من اللِّينِ جَانِبًا كَفَى ، ولَهَا أَنْ يُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ

إِذَا أَنْبَضَ الرَّامون تَرَنَّمتْ تَرَنُّمَ ثَكْلَى أَوْجَعْتها الجَنَائِزُ

وهذا – كما ترى – يدل على العلاقة العاطفية بين القوس وصاحبها ، فهي ذات صوت حسنٍ .

وهذا التباين بين الشعراء الثلاثة يدل على تميز في الأسلوب والنهج ، حيث أبان كل شاعر عن شخصيته في تلك الصور .

وما قام به ابن درَّاج في الصورتين السابقتين لا يعد سرقة ، فقد "قال بعض الحذاق من المتأخرين من أخذ معنى بلفظه كما هو كان سارقًا ، فإن غير بعض اللفظ كان سالخًا ، فإن غير بعض المعنى ليخفيه أو قلبه عن وجهه كان ذلك دليل

(١) القوس العذراء وقراءة التراث ، د . محمد محمد أبو موسى ، ص (٢٨) ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط / ١ ، ١٤٩٣هـ – ١٩٨٣م .
(٢) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، ص (١٩١ ، و١٩٠) .

حذقه"[١] ، وابن درَّاج كما ترى تصرف في الصورتين ، وغير في الألفاظ ، ونقل المعنى من سياق إلى سياق – كما في الصورة الأولى – ، فكان ذلك – طبقًا لرواية ابن رشيق – دليلًا على حذق صوره وطرافتها .

***

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، (٢٨٢/٢) .

سادسًا : الاستطراف عن طريق ضرب الأمثال :

والمثل هو شكل من أشكال الحكمة ، فالمثل "هو الحكمة والأساطير والقصص ذو المغزى"[١] ، ولا يشترط في الأمثال أن تكون نثرًا فقد تأتي في الشعر أيضًا .

والمثل ابن بيئته التي ظهر فيها ، "ولهذا نجد الأمثال متباينة مختلفة حسب تنوع القوم الذين ظهر بينهم . ففي البيئة التجارية يكون المثال من هذه البيئة في الأغلب ، وفي البيئة الزراعية يكون المثل مشربًا بروح المزارعين ، وفي البادية تكون الأمثال ذات طبيعة بدوية . ومن هنا اختلفت أمثال قريش عن أمثال العرب ، وأمثال عرب العراق عن أمثال أهل العربية الجنوبية ، وهكذا ، ولهذا فإن للمثل في نظر المؤرخ قيمة كبيرة من حيث أنه يرشده إلى مظاهر تفكير من ضرب بينهم ، ويعرفه بمبلغ ثقافة قائله"[٢] .

وتعد الأمثال مرآة تعكس عقلية قائلها وزمانه ولذلك نجد الأمثال قد "تباينت في البلاغة وفي قوة التعبير وعمق المعنى ،

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، د . جواد علي ، (٣٥٤/٨) ساعدت جامعة بغدد على نشره ، بدون طبعه وتاريخ .
(٢) السابق ، (٣٥٥/٨) .

وفي الفكرة ، فصار بعضها آية في الحكمة وفي قوة البيان وفي عمق المغزى والمعنى ، وصار بعض منها بسيطًا تافهًا ، ونجد هذه الحالة في أمثال كل الأمم"[١] .

والغاية من ضرب الأمثال تعود إلى الاهتداء بما احتوته من توجيهات وقيم وأخلاق نبيلة وذلك للسير على هداها ، أو لتوضيح ما غمض من المعاني والأفكار ، فبعض المعاني لا تتضح إلا بضرب الأمثال والتشبيهات .

ومن أمثلة ذلك في بيان ابن درَّاج قوله[٢] :

نِعْمَ المُقَدِّرُ للأُمورِ بِرِفْقِهِ رَكِبَ الزمانَ وما اشتكى من عُنْفِهِ

رَحُبَتْ حدائِقُهُ لِمُرْتَعِ مُخْصِبٍ وصَفَتْ مشارِبُهُ لِمَوْرِدِ مُرْفِهِ

مُستكمِلُ الإنعامِ قبل أَوانِهِ مثلَ الهلالِ تمامُهُ في نِصْفِهِ

فهو يخبر في البيت الأخير أن ممدوحه قد استكمل الإنعام قبل أوانه، ولما كان هذا الإخبار فيه ادعاء ومبالغة ضرب لنا مثلًا بالهلال الذي يكتمل في نصفه ، والجامع بين المشبه والمشبه هو بلوغ الشيء تمامه قبل أوانه .

---

(١) السابق ، (٣٥٦/٨) .

(٢) ديوان ابن درَّاج القسطلي ، ص (٢٥٨) .

والشاعر يقدم في هذا التشبيه معنىً لطيفًا ومبتكرًا ، فهو يقدم صورة شيء اكتمل قبل تمامه ، حيث وصف ممدوحه بأن إنعامه قد اكتملت قبل أوانه ، وهذا في بادئ الأمر يشعر المتلقي بأنه إزاء معنى طريف غريب ، وسبب هذا الشعور يعود إلى أن ما أخبر به ترفضه العقول لاستحالة تصور كمال الشيء قبل أوانه ، ولكن الشاعر بصنعته الحاذقة الماهرة ما لبث أن قلب هذه الاستحالة عن طريق الحس إلى واقع مشاهد ، وذلك حين قدم صورة الهلال الذي يكتمل في نصفه مثلًا يوضح صحة هذا الادعاء .

ويعود الاستطراف هنا إلى تقديم التشبيه بطريق المثل ، حيث وضح لنا صحة ادعائه من خلاله ، فما كان منا إلا أن نُقِره على صحة ما ذهب إليه ، كما نجد في أنفسنا شيئًا من التعجب من حسن تصرفه في كشف الغطاء عن المخبر عنه (الموصوف) ، ويضاف إلى ذلك التعليل الذي جاء به حيث أضفى على المعنى حسنًا وجمالًا .

ويتضح مما تقدم كيف استطاع ابن درَّاج من خلال خياله الشعري أن يثبت صحة ادعائه ، فقد استشهد بما تراه

العيون (رؤية الهلال تامًا في نصف الشهر) على ما يدرك بالعقل (وهو كمال النعمة على الممدوح قبل الأوان) .

***

❖ **خاتمة في الاستطراف :**

يتبين مما سبق أن ابن درَّاج نوَّع في مسالكه في استطراف التشبيه بين تشبيهات غريبة ، وتشبيهات معطوفة ، وتشبيهات تمثيلية ، وتشبيهات تقوم على الادعاء والمبالغة ، وتشبيهات تقوم على التجديد في الصور المألوفة والمطروقة ، وتشبيهات تقوم على ضرب الأمثال .

ونجد في استطراف ابن درَّاج للتشبيه الغريب أنه نحا إلى الخيال والجمع بين المتباعدين .

فالخيال له قيمة وأصالة ، ولاسيما الخيال الشعري فهو "نشاط خلاق ، لا يستهدف أن يكون ما يشكله من صور نسخًا أو نقلًا لعالم الواقع ومعطياته ، أو انعكاسًا حرفيًا لأنسقة متعارف عليها ، أو نوعًا من أنواع الفرار ، أو التطهير الساذج للانفعالات ، بقدر ما يستهدف أن يدفع المتلقي إلى إعادة التأمل في واقعه ، من خلال رؤية شعرية ، لا تستمد قيمتها من مجرد الجدة والطرافة ، وإنما من قدرتها على إثراء الحساسية وتعميق الوعي . ومن خصائص الخيال الشعري الأصيل أنه

يحطم سور مدركاتنا العرفية ، ويجعلنا نجفل لائذين بحالة الوعي بالواقع ، تجعلنا نشعر كما لو كان كل شيء يبدأ من جديد ، وكما لو كان كل شيء يكتسب معنى فريدًا في جدته وأصالته"[١] .

وأما الجمع بين الأشياء المتباعدة فذلك دليل على قوة خيال الشاعر ونفاذه في صميم الأشياء ، حيث "يرى البلاغيون أن هذه التشبيهات من النوع الغريب المعجب ، ويستشهدون لصحة هذا الأصل بموقف الشعراء منه ، والشعراء حجة في هذا الباب لأنهم أرباب الصناعة وأعرف بسرائرها"[٢] .

كما نجد أيضًا أن الشاعر أظهر في التشبيه المعطوف عن غزارة ودقة في الصور التي أتى بها ، مما يدل على أننا إزاء شاعر متمكن من أدواته .

كما نحا نحو التشبيه التمثيلي ومعلوم "أن أُنْس النفوس موقوفٌ على أن تُخرجها من خفيٍّ إلى جليٍّ ، وتأتيها بصريح بعد مكنيٍّ ، وأن تردَّها في الشيء تُعلِّمها إياه إلى شيء آخر هي

(١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، د . جابر عصفور ، ص (١٤) ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – لبنان ، ط / ٣ ، ١٩٩٢م .
(٢) التصوير البياني ، ص (١٦٠) .

بـشـأنـه أعـلـم ، وثـقـتُها بـه في المعرفة أحكم نحو أن تـنـقُـلها عن العقل إلى الإحساس ، وعمَّا يُعلم بالفكر إلى ما يُعلم بالاضطرار والطبع"[١] .

وقد نحا ابن درَّاج – أيضًا – في استطرافه للتشبيه نحو التشبيهات التي تقوم على الادعاء والتخييل ، وذلك كقلب التشبيه الذي يضفي على الصورة مزيدًا من الإدعاء والمبالغة .

كما نحا – أيضًا – إلى الصور المطروقة قبله فأضاف إليها إبداعًا وابتكارًا تاركًا أثره فيها ، فحين ينسج الشاعر من الصور العجيبة المطروقة قبله فيضيف إليها شيئًا بديعًا من بنات أفكاره فإن ذلك يدعو إلى الدهشة والإبهار ، ومعروف أن مجال الصور البيانية يتسع لكل جديد مما يدعو إلى الابتكار فهي كالحقل الخصيب العامر .

كما نحا – أيضًا – إلى ضرب الأمثال التي توضح صوره التي فيها قدر من الادعاء والمبالغة وقد أحسن في ذلك .

---

(١) أسرار البلاغة ، ص (١٢١) .

ويتضح أن استطراف التشبيه لا يتيسر إلا لشاعر ذو موهبة فطرية يتمتع بقدرات عالية من الذكاء ، قد رزق بدقة فائقة من الملاحظة ، ولديه رصيد هائل من الثراء الفكري والمعرفي واللغوي .

وقد تمكن ابن درَّاج من إتقان هذا المسلك بدرجة عالية من الإبداع والحِرَفية المتقنة .

***

"الـــفـــهـــارس"

- فهرس الكتب .
- فهرس الموضوعات .

أولًا : فهرس الكتب

(أ)

- أسرار البلاغة ، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي ، قرأه وعلق عليه : أبو فهر محمود محمد شاكر ، دار المدني بجدة ، ط / ١ ، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م .

- الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، لخير الدين الزِرِكْلِي ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ط / ١٥ ، ٢٠٠٢م .

- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لعز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجَزَري ، تحقيق وتعليق : الشيخ علي محمد معوّض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، بدون طبعة وتاريخ .

(ب)

- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد ، لعبد الرحمن حسن حبنك الميداني ، دار القلم ، دمشق – سوريا ، ط / ٣ ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م .

(ت)

- التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان ، للدكتور : محمد بن محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة – مصر ، ط / ٧ ، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م .

(ج)

- جوامع الشعر ، للفارابي ، تحقيق وتعليق الدكتور : محمد سليم سالم ، الجهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث – القاهرة – مصر ، الكتاب الثالث والعشرون ، بدون طبعة ، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .

(خ)

- الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : الشربيني شريدة ، دار الحديث ، القاهرة – مصر ، بدون طبعة ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، للدكتور : محمد ابن محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة – مصر ، ط / ٨ ، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م .

(د)

- دلائل الإعجاز ، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي ، قرأه وعلق عليه : أبو فهر محمود محمد شاكر ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد ، الرياض – السعودية ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط / ٥ ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م .

- ديوان ابن درَّاج القسطلي ، لأحمد بن محمد ، حققه وعلق عليه وقدم له الدكتور : محمود علي مكي ، ط / ٢ ، المكتب الإسلامي ، دمشق – سوريا ، بدون طبعة وتاريخ .

- ديوان المعاني ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، شرحه وضبط نصه : أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط / ١ ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

- ديوان النابغة الذبياني ، لزياد بن معاوية ، اعتنى به وشرحه : حمدُو طمَّاس ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط / ٢ ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

- ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، حققه وشرحه : صلاح الدين الهادي ، دار المعارف بمصر ، بدون طبعة وتاريخ .

- ديوان عدي بن الرّقاع العاملي ، جمع وشرح ودراسة الدكتور : حسن محمد نور الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط / ١ ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

- ديوان الشنفرى ، لعمرو بن مالك ، جمعه وحققه وشرحه : إميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، ط / ٢ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .

- ديوان ذو الرمة ، لغيلان بن عتبة العدوي ، شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي ، رواية الإمام أبي العباس

ثعلب ، حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، مؤسسة الإيمان للتوزيع والنشر والطباعة ، ط / ١ ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .

(ذ)

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني ، تحقيق الدكتور : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، بدون طبعة ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

(ز)

- زهرة الآداب وثمرة الألباب ، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحُصَري القيرواني ، ضبطه وشرحه وعلق عليه وقدم له الدكتور : يوسف علي الطويل ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط / ١ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

(ش)

- شروح التلخيص (مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح للقزويني ، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح للمغربي ، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للسبكي ، وبهامشه كتاب الإيضاح للقزويني ، وحاشية الدسوقي على شرح السعد) ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبي ، بدون طبعة وتاريخ .

- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ط / ٥ ، بدون تاريخ .

(ص)

- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، للدكتور : جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – لبنان ، ط / ٣ ، ١٩٩٢م .

- الصورة والبناء الشعري ، للدكتور محمد حسين عبد الله ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، بدون طبعة وتاريخ .

(ع)

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لأبي علي الحسن بن رشيق ، تحقيق الدكتور : عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، بدون طبعة ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م .

- علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ، للدكتور : بسيوني عبد الفتاح فيود ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط / ٢ ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

(ف)

- فن الأدب ، لتوفيق الحكيم ، دار مصر للطباعة ، بدون طبعة وتاريخ .

- فن التشبيه (بلاغة – أدب – نقد) ، للدكتور : علي الجندي ، مكتبة نهضة مصر ، ط / ١ ، ١٩٥٢م .

(ق)

- القوس العذراء وقراءة التراث ، للدكتور : محمد بن محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة – مصر ، ط / ١ ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

(ك)

- الكامل في اللغة والأدب ، لأبي العباس المبرِّد ، تحقيق : جمعة الحسن ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط / ٢ ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

(ل)

- لسان العرب ، لابن منظور ، تحقيق : عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، بدون طبعة وتاريخ .

(م)

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لابن الأثير ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، بدون طبعة ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م .

- مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، راجعه وعلق عليه : أنس محمد الشامي ، دار الحديث ، القاهرة – مصر ، بدون طبعة وتاريخ .

- من كنوز الشعر العربي لامية العرب للشنفرى "دراسة بلاغية" ، للدكتور : أحمد إبراهيم ، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببني سويف – جامعة الأزهر ، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م .

- المجالسة وجواهر العلم ، لأبي بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي ، دار ابن حزم ، بيروت – لبنان ، ط / ١ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، للدكتور : أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بدون طبعة ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، للدكتور : جواد علي ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، بدون طبعة وتاريخ .

(و)

- وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلِّكَان ، حققه الدكتور : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، بدون طبعة ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .

- الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل الصفدي ، تحقيق واعتناء : أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط / ١ ، ١٤٢٠ – ٢٠٠٠م .

(ي)

- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، لأبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري ، شرح وتحقيق الدكتور : مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط / ١ ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

***